# رفع الحجاب عن سفر الرؤيا

## سلسلة تفسير سفر الرؤيا، الجزء الأوّل (أ)

المتروبوليت أثناسيوس (ليماسول)

### إذا كان المسيحُ قريبًا يُغلَبُ الموت

إنَّ سفر رؤيا الرسول يوحنّا هو السِّفر الأخير من العهد الجديد. ليس العهدُ الجديد سِفرًا واحدًا بل هو مجموعةٌ من سبعةٍ وعشرين سفرًا. والسِّفر الأخير، أي رؤيا القدّيس الرسول والإنجيليّ يوحنّا اللاهوتيّ، كان أيضًا آخر ما كُتِبَ من بينها. هو نَصٌّ نبويٌّ يتحدّث عن أحداثٍ مستقبليَّة، وعن أحداثٍ تقَعُ الآن، وعن أحداثٍ قد مضَتْ بالفعل، ويشرحها بطريقةٍ خارجةٍ عن المألوف، من خلال الصُّوَر والرؤى والوحي واستخدام الرموز. لقد عاينَ القدّيس يوحنّا الرسول في جزيرة بَطمُس ما كشفه الله له. ومَن زار منكم الجزيرة، يعلم أنَّ الكهف الذي تلقّى فيه يوحنّا الرسول خلال صلاته الرؤيا الموصوفة في السِّفر، لا يزال موجودًا.

تعني كلمة "apocalypse" رفع الحجاب عمّا هو مخفيٌّ ومستور وفي الظلام. إنّها ظهور الأشياء والأحداث والرسائل التي يريد الله أن يُبلّغها للإنسان. وقد أعطى الله يوحنّا الرسول هذه الرؤيا لأنَّه كان ينبغي لنا أن نعرفها. وما حاجتنا إلى معرفتها؟ إنَّ مسار هذا العالم خطّيّ (linear)، فهو يمضي نحو نهاية. وأخبرَنا المسيح عن نهاية العالم؛ أخبرَنا بأنَّ العالمَ سيبلغ مُنتهاه يومًا ما.

ستقع أحداثٌ وعلاماتٌ مُعيَّنةٌ قبل النهاية، ومن المهمّ أن نتحلَّى نحن المسيحيّين بيقظةٍ شديدة. "اسهروا وصلُّوا لئلّا تدخلوا في تجربة" (متّى 26: 41)، هذه هي رسالة المسيح. لماذا يتحدّث عن التجربة؟ لأنَّه كلّما اقتربنا من النهاية ظهرَ المزيد من المُسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة. ستتضاعفُ الهرطقات، وسيظهر كثيرون ممَّن يدَّعون أنَّهم أنبياء وقدّيسون وشعب الله، وأنَّهم يتلقَّون رسائل من الله.

ما الذي سيَسعى إليه هؤلاء الأنبياء؟ سيجذبون الناس إليهم. إنَّه لأمرٌ خطير، لأنَّه ليس مجرَّد أذىً جسديّ. على سبيل المثال، قد يقتلنا أحدٌ أو يقطع أيدينا، لكنّ هذا الشرّ سيَلحقُ بأجسادنا فقط. نحن سنموت عاجلًا

أم آجلًا، ولن ينهار العالم إذا قطعوا رؤوسنا قبل ذلك ببضع سنوات. ولكنْ إذا خسرنا نفوسنا، ففي الأمر هلاكٌ أبديّ. إذا وقعنا في التجربة، فإنَّ ذلك سيدوم إلى الأبد. لذا فمن الأفضل للإنسان أن يموت، أو أن يتأذَّى جسده، من أن يخسر نفسَه. إلّا أنّ الأنبياء الكذَبة والمُسحاء الكذَبة يسعون لتدمير نفوسنا، ولصَرفنا عن الطريق الحقّ.

إنَّ السَّعي وراء الحقّ ليس أيديولوجيا ما، بل هو الكنيسة. جعل المسيح كنيسته عمود الحقِّ وقاعدته (تيموثاوس 3: 15). إنَّ جسد المسيح هو الكنيسة (جميعُنا، وليس فقط الأساقفة والكهنة والشمامسة)، تمامًا كما نظَّمَها الرُّسل والقدّيسون وسلَّموها لنا. والكنيسة هي حافظة الحقّ وحافظة أسفار العهد الجديد. ولكنْ لا قيمةَ لأسفار العهد الجديد ما لم تضع الكنيسة ختم مُصادقتها على حقيقة هذه الأسفار. اختارت الكنيسة سبعة وعشرين سفرًا وقالت إنَّ هذه الأسفار تحمل الحقّ، وإنَّها تؤلّف أسفار الكتاب المقدَّس المُلهَمة من الله.

نقرأ في رسائل القدّيس أثناسيوس الكبير أنَّه وفقًا لقرارات مجامع أساقفة الكنيسة التي عُقِدَت في ذلك الزمان، لم تقبل كنائسُ محليَّةٌ منفردةٌ العديدَ من أسفار الكتاب المقدَّس (القليل منها، بما فيها سفر الرؤيا). اعتقدت بعض الكنائس المحلّيّة أنّ رؤيا القدّيس يوحنّا اللاهوتيّ لم تكن ضمن مجموعة أسفار العهد الجديد، نظير رسالة بولس الرسول إلى العبرانيّين. ليس مذكورًا في أيّ موضعٍ أنَّ متّى الرسول هو من دوَّن إنجيل متَّى، أو أنَّ إنجيل مرقس قد دوَّنه مرقس الرسول. الكنيسة هي مَن ختمت أنَّ النصَّ الفلانيّ يعود إلى القدّيس مرقس، وأنّ نصًّا آخر يعود إلى القدّيس يوحنّا، وأنَّ غيره من النُّصوص هو للقدّيس بولس. الكنيسة هي مَن عيَّنتْ هذا.

ظهرت الهرطقات منذ السنة الأولى بعد صعود الربِّ إلى السماء وابتداء كرازة الرسل. وحاول الهراطقة إعادة تشكيل التقليد الرسوليّ تبعًا لفهمهم الخاصّ وطريقة تفكيرهم الخاصّة. ماذا فعلوا؟ كتبوا نصوصًا وقالوا: "هذا النصُّ كتبه بولس الرسول (مثلًا)". وكيف كان بإمكان الناس في تلك الأيّام معرفة هويّة الكاتب؟ مَهروا تلك النُّصوص باسم القدّيس بولس أو القدّيس يوحنّا أو القدّيس توما، وقدَّموها للمسيحيّين، وهذه هي الأسفار المدعوَّة منحولة (أبوكريفا) التي يخاف منها الجميع.

إنّ الأناجيل المنحولة هي بصورةٍ أساسيَّةٍ نصوصٌ كتبَها هراطقة، معظمهم غنوصيُّون (الغنوصيّة هرطقةٌ ظهرَت في السنوات الأولى بعد نشوء الكنيسة، وقد تسبَّبتْ بتشويشٍ شديدٍ للناس في تلك الأيّام). كتبوا نصوصًا،

ووقَّعوها بأسماء الرسل -يعقوب الرسول، توما الرسول، بولس الرسول- وقاموا بتوزيعها بين المسيحيّين، مُسبِّبين التباسًا شديدًا. لم يعرف المسيحيّون الأصلَ الدقيق للعديد من النُّصوص.. هل هي حقيقيّة؟ هل هي أصليَّة؟ وحدث تشوُّشٌ فقالت الكنيسة: "لا نقبل من النُّصوص على أنَّها حقيقيّةٌ إلّا تلك التي كتبَها تلاميذُ المسيح، بناءً على رأي تلاميذ الرسل". كان لا يزال تلاميذٌ للرسل على قيد الحياة حينها – القدّيس بوليكاربوس، القدّيس إغناطيوس الأنطاكيّ، وغيرهم من خلفاء الرسل الذين كانوا يعرفون ما الذي تحدّث عنه مُعلِّموهم.

كثيرًا ما نسمع اليوم تُرَّهاتٍ، بل وحتَّى تجاديف تُنسَبُ إلى القدّيس باييسيوس. عِشتُ بقربه ستَّ عشرة سنة ولم أسمع أمورًا كهذه منه مطلقًا، فيما يوجد أشخاصٌ زاروه مرّةً، أو ربّما لم يروهُ حتَّى، يكتبون عنه شتَّى أنواع الأمور. مَن كان مِنَّا قريبًا من القدّيس وأصغى إليه ويعرف ما الذي تكلَّم عليه، يمكنه أن يحكم ما إذا كان الشَّيخ باييسيوس قد تفوَّه بكلّ هذه السَّخافات المنسوبة إليه. حتّى خلال حياته،كان الناس يأتون ويقولون: "قال القدّيس باييسيوس إنَّ الحرب ستبدأ في غضون ثلاثة أيّام!". لم يكن الشَّيخ قد قال شيئًا كهذا، لكنَّ تلك الأقاويل كانت تُتناقَل شفويًّا.

ذات مرّة، أتى إليه رجلٌ وسأله قائلًا:

- أيُّها الشيخ، سمِعنا في أثينا أنَّ الحربَ ستنشب. هل هذا صحيح؟
- حسنًا، وما الذي تفكِّر في فعله إذا اندلعَت الحرب؟
- سيكون من الجيّد أن يعلم المرء إذا كانت الحرب ستندلع. عندها سنقوم بشراء المزيد من كلّ شيء.
- ما الذي تُخطِّط لشرائه؟
- حليب، ملح.
- عزيزي، إذا اندلعت الحرب فهل ستشرب الحليب؟ هل ستقوم بطَهْوِ شيءٍ للأكل؟ إذا اندلعت الحرب، فهل سيتَّجه تفكيرُكَ إلى الطعام وستفرح بأنّ خزائنكَ ممتلئة؟ وهل ستشعر بأنّكَ في خطرٍ إذا لم تُخزِّن شيئًا؟ ما هذا الذي تفكّر فيه؟

كثيرًا ما حرَّفَ الناس معنى كلامه. في إحدى المرّات، زاره رجلٌ وراح يخبره عن أسقف أبرشيَّته. فقال الشيخ إنَّه يعرف ذلك الأسقف. فذهب الرجل إلى الأسقف وأخبره قائلًا: "قصدتُ الشَّيخ باييسيوس وقال لي إنَّه يعرفكَ وإنّكَ إنسانٌ رائع!". غير أنّ الشَّيخ لم يقُلْ شيئًا كهذا.

وفي مرّةٍ أخرى، قصد راهبٌ قلّاية القدّيس بابيسيوس لرؤيته، وكان هذا الراهب متسكِّعًا وبسيطًا، ومتطفِّلًا وفظًّا بعض الشَّيء. جاء وجلس مع الشيخ لساعات. انزعج الشَّيخ وقال له: "بما أنَّك لا تملك أسئلة، أعطِني عشر دقائق لأصمت وأصلّي". فظلّ الراهب جالسًا يسأله عن الطقس وما إذا كان المطر سيهطل والطماطم ستنمو والعنب سينضج. هل كان لدى الشَّيخ وقتًا لمثل هذه الأمور؟ ولكنَّه لم يشأ أن يُحزن الراهب. ثمَّ دعاه إلى الذَّهاب إلى الكنيسة وقراءة المزامير. جلس الراهب في الكنيسة وذهب الشَّيخ لقراءة المزامير. كانت لديه رئةٌ واحدةٌ فقط، لذلك كان يتوقّف بين الحين والآخر ويأخذ نفسًا عميقًا. ثمّ جاء رجلٌ ووقف عند نافذة الكنيسة، فأشار إليه الشَّيخ أن ينتظر قليلًا. غادر هذا الراهب الكسول ثمَّ أرسل رسالةً إلى الشيخ. اسمعوا ماذا كتب: "لم يكفِكَ أنَّك أبقَيتني عندكَ ساعاتٍ طويلةً فبدّدتُ الكثير من وقتي، بل اعتبرتَني أيضًا ممسوسًا وأخذتَني إلى الكنيسة لتقرأ عليَّ المزامير، ثمَّ هدَّدتَني".[1]

في أيّامنا، بات من السَّهل علينا أن نُدلي بتصريح، وأن نخبر الناس بأنّه لا علاقة لنا بالشخص الفلانيّ أو النظريّة الفلانيّة أو الأخبار المعيَّنة. يمكنكم إعلام المجتمع من خلال الإنترنت والراديو والتلفزيون والصُّحف، وأن تدافعوا عن الحقيقة. أمّا في زمن الرسل، فكانت توجد معضلةٌ خطيرةٌ في الكنيسة حتّى حقبة القدّيس باسيليوس الكبير: كان الهراطقة يكتبون نصًّا ويمهرونه بأسماء القدّيسين، ويوزِّعون نصوصهم بين المؤمنين؛ وقد تسبَّب ذلك بالكثير من التشوُّش.

قالت الكنيسة: "لا نقبل إلّا ما علَّمَنا إيّاه الرُّسل وخلفاؤهم وتلاميذُ خلفائهم". وهكذا نشأ ما تدعوه الكنيسة بالتقليد الرسوليّ. مَن الذين كانوا شهودَ عيانٍ على المسيح؟ الرُّسل. وما قاله الرُّسل صحيح، لذا كان من الممكن تجميع تعاليم الكنيسة وتحديد القوانين الحقَّة لنُصوص الكتاب المقدّس. واستطاع الناس أن يقولوا إنَّ هذه الأسفار حقيقيّةٌ وأصيلةٌ وحاملةٌ لله، وهي تؤلِّف العهدَين الجديد والقديم.

بهذه الطريقة، حلَّت الكنيسة هذه المشكلة الصعبة التي وجدت خاتمتها النهائيّة في رسائل القدّيس أثناسيوس الكبير. هذه إحدى الإجابات الموجَّهة إلى البروتستانت وشهود يهوه وكلِّ مَن يقول اليوم: "إنَّنا نعترف بالكتاب المقدَّس فقط، وليس بالكنيسة وتقليدها". ما هذا الذي يقولونه؟ الكنيسة هي مَن قامَتْ بتحديد

[1] يبدو أنّ الشيخ كان قد أومأ إلى الرجل الذي عند النافذة مستخدمًا أصابعه بالطريقة عينها التي نومئ بها مهدِّدين أحدَهم "سأريك!" (المترجم).

الأسفار المقدَّسة، وهي التي قالت إنَّها كُتِبَتْ بإلهامٍ إلهيّ. وقال ذلك القدّيس أثناسيوس ومجمع الأساقفة. فكيف يمكنكم أن تقبلوا الأسفار التي اختارتها الكنيسة بينما ترفضون الكنيسةَ نفسَها؟ هذا غير معقول. لقد أرسَت الكنيسة سُلطة الكتاب المقدّس وحقيقته؛ فالكنيسة هي ختم الحقّ، وهي التي تضع ختمَها على ما هو حقٌّ ولا تعترف بما هو باطلٌ أو مزيَّف. إنّ الوسيلة الموثوقة الوحيدة لفهم وتمييز ما قاله لنا المسيح عن الأنبياء الكذَبة والمسحاء الدجّالين والكذَبة، هي الكنيسة، فُلْك الحقّ والخلاص.

*نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ*

**Source:** Metropolitam Athanasios of Limassol (2024). *Revelation: Removing the Veil,* Part 1A. Retrieved online from: *OrthoChristian*.